Sensory image in Umayyad poetry The book (Umayyad poets) as a model (An analytical study)

Huda Ahmed Hassan
huda04094@gmail.com
Asist. Prof. Saja Jassim Muhammad Abbas (Ph.D.)
saja77@coart.uobaghdad.edu.iq
University of Baghdad / College of Arts
Department of Arabic Language

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v2i144.4035

Abstract:

The sensory image is one of the most important means in highlighting the features of the poetic image, as through it the meanings are transmitted to the mind of the recipient and through it, he can understand the text in a more beautiful and clear way. Because it contains wonderful rhetorical images such as similes, metaphors, metaphors and euphemisms, in addition to sensory images, each of these images has a role that helps to strengthen and embody the meaning. Based on this importance, in our research, we deliberately monitored the sensory image in the aforementioned book, and how these poets were able to employ these images with unique poetic prowess and high stylistic sobriety.

Keywords: Sensory image, visual, auditory, Umayyad poetry.

الصورة الحسية في الشعر الأموي

كتاب (شعراء أمويون) انموذجًا (دراسة تحليلية)

الباحثة هدى أحمد حسن
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

أ.م.د. سجا جاسم محمد عباس
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم اللغة العربية

(مُلَخَّصُ البَحث)

تعدّ الصورة الحسية من أهم الوسائل في إبراز ملامح الصورة الشعرية، اذ بها تنتقل المعاني الى ذهن المتلقي ومن خلالها يتمكن من فهم النص بصورة أكثر جمالاً ووضوحًا، وكتاب نوري حمودي علي القيسي خير مثال على جمالية الصورة الحسية في كتابه (شعراء أمويون) – موضع الدراسة – لاحتوائه على صور بلاغية رائعة من تشبيه، واستعارة،ومجاز ،وكناية فضلاً عن الصور الحسية، فلكل صورة من هذه الصور دور يساعد على تقوية المعنى وتجسيده. ومن منطلق هذه الأهمية عمدنا في بحثنا هذا رصد الصورة الحسية في الكتاب المذكور آنفًا، وكيف استطاع هؤلاء الشعراء توظيف هذا الصور ببراعة شعرية متفردة ورصانة أسلوبية عالية.

الكلمات المفتاحية: الصورة الحسية، البصرية، السمعية، الشعر الأموي.

توطئة :

نريد بالصورة الحسية هو ان يتجه الشاعر الى وصف الأشياء وصفاً حسياً مستعملا الجوانب المعتمدة على الحواس، فالحس يعد من أهم مكونات الصورة الشعرية، وعن طريق الحواس يمكن إدراك الصورة، فهي المصدر الذي نستمد منه أبعادها، والتي تبدو في النص من الحواس الخمس وهي (السمع، والبصر، والتذوق، والشم، واللمس) فعندما يريد الشاعر تصوير تجربته ونقلها الى القارئ يلجأ الى استعمال هذه الحواس ولا بد له من أن " يجيد اختيار الألفاظ ذات المغزى اي الشكل العاطفي المؤثر بوساطة التركيب الأسلوبي فبإمكانه تكوين دلالات عمل لنفسه وبطرق عديدة ربما تكون الأكثر شيوعاً من بينها ذلك الذي تقوم به الصفات الدلالية للكلمات لتوكيد وتعزيز المعنى المبين" (شكر و فقي، ٢٠١٨).

فالشاعر يعمد الى توظيف الحواس في شعره ليضفي على عمله الجمال ومن ثم يجذب المتلقي اليه، ويثير مشاعره وأحاسيسه ويحرك خياله، معتمداً في ذلك عقله وابداعه، فالحواس هي " الوسائل التي تغذي ملكة التصور والخيال وتنقل اليها مجتمعة او منفردة الصورة بشتى مصادرها وطبائعها " (البصير، ١٩٨٧، صفحة ١٢٤). وتقسم الصورة الحسية الى خمسة أنواع بحسب الحواس وهي (الصورة البصرية، والصورة السمعية، والصورة الشمية، والصورة الذوقية، والصورة اللمسية) وسوف نتناولها في هذا المبحث ذاكرين بعضًا من النماذج الشعرية عند الشعراء الأمويين ،إذ اجادوا في تصويرها .

أولاً: الصورة البصرية:

وهي الصورة التي ندركها بوساطة حاسة البصر، أي أن المتلقي يدركها بوساطة (العين) فهي تعد " أدق الحواس حساسية وتأثيرا في الواقع المحيط، فعن طريق العين يكون الاحتكاك مباشراً بموضوع التجربة، بل انها اسبق الى إدراك هذا الواقع" (اسماعيل، د. ت، صفحة ١٢٧)، فالعين أسبق الحواس لإدراك الواقع والشاعر كثيراً ما يتأمل الموجودات وينظر اليها في صورة غير التي نراها بها وعن طريق حسه الفني يحول هذا الفن الى خلق آخر معتمداً على حاسة البصر، فالصورة في أساس تكوينها هي " بنت البصر والرؤيا " (سيمون، ١٩٨٢، صفحة ٧٥)، ويمكن تحديد الصورة داخل النص الشعري من خلال كل لفظ يدل على المشاهدة والرؤية، ولقد وظف الشعراء الأمويون الصورة البصرية في اشعارهم لتقوية المعنى وبناء الصورة ومن الامثلة نذكر نماذج من الشعر منهم قول جبيهاء الأشجعي (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٥/٣) :

سَلْ عنه أرخمةً بيضاً وأغربةً ... سوداً لهُنّ حنى أطمَى سلاهيبُ

يُردين رَدْي العَذارى حوَل دمنتهِ ... كما يطوف على الحوضِ المعاقيبُ

فجاء يحملُ قرينه ويندبه ... فكُلُّ حيّ إذا ما مات مندوُب

يصور الشاعر في هذه الأبيات عددًا من الصور الحسية وهي البصرية اللونية في قوله (أرخمة بيضاء وأغربة) ،إذ وصف الطائر وهو (الرخمة) وهو نوع من أنواع الطيور تكون غزيرة الريش، بيضاء اللون، مبقعة بسواد، ثم ذكر أغربة سود حيث ذكر البياض والسواد ثم ذكر في البيت الذي يليه في قوله (كما يطوف على الحوض المعاقيب) وهذه صورة بصرية حركية بناؤها كله على البصر كما ذكر الصورة الحركية في قوله (فجاء يحمل قرينه ويندبه) فهنا صورة حركية بصرية، فقد ذكر هذه الصفات وهي (بيض سود) دلالة على الصورة البصرية اللونية، ثم ذكر لفظة (يطوف) دلالة على الصورة البصرية الحركية، ثم ذكر لفظة (يحمل) دلالة على الصورة الحركية ايضا .

وقال الوليد بن عقبة يرثي اخاه عثمان بن عفان(القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٥٢/٣): (من الطويل)

تلاحظكم في كلَّ يوم وليلةٍ بطرفٍ على ما في النفوس دليلِ
الى أن يُرى ما فيه للعين قرّةٌ وتلك التي منها شفاءُ غليلِ
وقالوا دليمٌ لازمٌ قعر بيته ومـا امره فيما أتى بجميل

ينقل الينا الشاعر صورة بصرية حسية رثى فيها أخاه رثاءً حزيناً فيه من المرارة والأسى فهو يصور حاله على ما أصابه من فاجعة قتل أخيه (عثمان بن عفان) فصور لنا حاله وحال خصمهم الذين قتلوا الخليفة في ليلة ظلماء شديدة السواد وهذه دلالة على الصورة البصرية اللونية. وقال جبيهاء الأشجعي (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٥٢/٣):

فقُمنا الى خَيْرَينِ في ضَرَّتيهما مَجَمٌّ لذّراتِ العُروق النواعرِ
كميتين حمراوين لونا تعادتَا به نَسَباً في الواشجات الزواخرِ

صور الشاعر في هذا البيت صورة رائعة صور فيها جمال الفرس فقد تفنن الأشجعي في إخراج صورة حسية بصرية جميلة فقد برع في وصف جمال ابله وصورها بأحسن الصور التي استمدها من الطبيعة ،إذ وصف غزارة لبنها وتدفقه فشبهها بالفرسين الحمراوين ذات الأصل العريق. وقال ايضاً (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٥٥/٣):

وأبيضُ من آل الوليد اذا بدا غدا مُنعماً والحمدُ والمسك شامل
تداركني منه بسجل كرامةً فدىً لك من مُعطٍ ردائي وحامله
عسى منك خيرٌ من نعم الف مرة من آخرَ غال الصدقَ منه غوائله

استعان الشاعر بالصورة اللونية في مدح آل الوليد، إذ وصفه بالبياض اذا بدا لما فيه من نقاء، فالبياض دليل على النقاء حتى وصف ممدوحه وما عنده من النعم ومن الحمد وما له من رائحة كالمسك، فقد برع في تصويره حتى انه يبدي له بردائه وما يتأمله من خير دائم

ممدوحه فهو الصادق الذي يسعى للخير في كل مرة، والذي يدفع عن الفقراء غائلة الجوع، فقد منح الشاعر العطاء طعما تلذذ به الممدوح وذاق حلاوته واستشعر به .

وأما عن المقنع الكندي يقول (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٠٦/٤):

ولـي نَثْـرةُ مـا أبْصَـرَتْ عـينُ نـاظرٍ كصُـنعٍ لهـا صُـنْعاً ولا سَـرْدها سَـرْداً
تلاحَـمَ منهـا سَـرْدُها فكأنمـا عيـونُ الـدَّبا فـي الأرض تجرُدهـا جَـرْدا

يصف الكندي في هذين البيتين صورة وصفية مليئة بالصور الحسية البصرية، فهو يفخر بما له من درع عظيم ،ويصف هيئته وعظمة ما رأته عين ناظر، فالنثرة التي عناها الدرع يصفها بالحصينة المتماسكة ذات النسيج القوي المتين فليس لها مثيل حتى انه وصفها بعيون الدبا وهي كل ما يدب على الأرض فقوله تجردها جردا أي: تأكل نبتها وتحلقه .

ولنستمع لقول الأبيرد بن المعذر الرياحي (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٧٦/٤):

ألا هَزِئَـتْ مـودَوْدُةُ اليـومَ أن رأتْ شُـكيرَ أعـالي الـرأسِ منّـي تَلَفَّعـا
وأن شـابَ أصـداغي وعَمَّـم مَفْرِقـي مَشـيبٌ وأمسـى لـونُ وجهـي أسْـفَعا

رسم لنا الأبيرد صورة حسية رائعة ،إذ وصف حاله عندما غطى رأسه الشيب ، فهو يصور لنا حسرته على شبابه وقوته بعدما كبر وبدأ الشيب يغطي رأسه وملامح وجهه بان فيها الكبر، فذكر الفعل (رأت) في بداية البيت دلالة على الصورة البصرية الواضحة ثم ذكر الصورة اللونية وهي (لون وجهي اسفعا) وهي اللون الأسود المشرب حمرةً فهي صورة بصرية لونية فقد كرر ذكر اللون الأسود بعدما خالط الشيب رأسه واختلط البياض بالسواد .

ثانياً: الصورة السمعية

وهي الصورة التي تعتمد حاسة السمع سواء أكانت اصواتًا بشرية أم غير بشرية، فحاسة السمع لها القدرة العالية على حفظ التواصل المستمر بين الانسان ومحيطه، " فحاسة السمع هي عماد كل نمو عقلي واساس كل ثقافة ذهنية " (زكري، ٢٠١٦، صفحة ٥٢). وحاسة السمع من أهم الحواس التي يعتمدها الإنسان في تكوين ثقافته كما انها من أهم الحواس التي يعتمدها الشاعر في تحسس جمال الأصوات، وتحديد أهم سماتها " فالصورة السمعية تقوم على توظيف ما يتعلق بحاسة السمع ورسم الصورة عن طريق اصوات الالفاظ ووقعها في الاداء الشعري واستيعابها من خلال هذه الحاسة مفردة او بمشاركة الحواس الاخرى، مع توظيف الايقاع الشعري الخارجي والداخلي، لإبلاغ المتلقي ونقل الاحساس بالصورة لدى الشاعر اليه " (ابراهيم، ٢٠٠٠، الصفحات ١٩-٢٠) (سعد، ٢٠١٧، صفحة ٩٦). وقد ورد ذكر الصورة السمعية في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ (سورة المائدة، الآية: ٧٨). وللصورة السمعية قيمة مركزية بين الحواس الأخرى ؛ " لان حاسة السمع اقلها مادية و أقواها

استخداما للرموز والإشارات العقلية " (مراد، ١٩٤٨، صفحة ٦٤). ومن امثلة الصورة السمعية عند الشعراء الأمويين:

استعمل الشاعر السمهري العكلي فعل السمع (قرع) استعمالا حسيا مباشراً لتشكيل صورة حسية قائمة على السمع، فقال (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٢/١): (من الطويل)

قبيلّـــةٌ لا يقـــرعُ البـــابَ وفـــدُها بخيـــرٍ ولا يـــأتي السّـــدادَ خطيبهـــا
فـإن تـكُ عُكـل سَـرَّها مـا أَصـابني فقد كنـتُ مَصـبوباً علـى مـن يَريبُهـا

وهي صورة جميلة قرن فيها الشاعر بين قرع باب السجن وبين باب قبيلته التي تخلت عنه وهو في الحبس. وكذلك استعمل السمهري الأفعال (أبلغ) و(بكى) استعمالاً حسياً مباشراً ايضاً فقال (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٢/١) :(من الطويل)

فمـــن مبلـــغٌ عنّـــي خليلـــي مالكـــاً رســـالة مشـــدود الوثـــاق غريـــب
ومـــنْ مُبلـــغٌ حَزْمـــاً وتيمـــاً ومالكـــاً وارباب حـامي الحفـر رهـط شـبيب
ليُبكـوا التـي قالـت بصـحراء مـنعج لـي الشـرِكُ يـا ابنـي فائـد بـن حبيـب

ومن الصور الحسية التي جاء بها السمهري كذلك صورة البكاء على المنازل في قوله : (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٩/١) (من الطويل)

بَكَيْـتَ ومـا يُبكيـكَ مـن رسـم منـزلٍ علـى حَفَـر السـيّدان أصْـبَحَ خالِيـا
خـــلا الريـــاح الراسِـــيات تَغَيّـــرَتْ مَعارفـــهُ إلا ثَلاثـــاً رَواسِـــيا

وقال ايضاً (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٥٠/١): (من الطويل)

أَعنـــي علـــى بَـــرْقٍ أَريـــك وَميضُـــهُ يشُـــوقُ إذا اسْتوضـــحت بَرقـــاً عنانيـــا
أَرقـــتُ لـــه والبـــرقُ دونَ طميَّـــةٍ وذي نُجُـــبٍ مـــا بَعْـــدَهُ مـــن مَكانيـــا

ومن الصور السمعية عند الشاعر جحدر بن معاوية المحرزي قوله بعد أن حبسه إبراهيم بن عربي بدوار قال (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٧٣/١): (من الكامل)

إنـــي دعَوتُـــكَ يـــا إلـــهَ محمَـــدٍ دَعْـــوى فَأَوّلهـــا لـــي اسْـــتِغفار
لِتُجيرَنـــي مـــن شَـــرَّ مـــا انـــا خـــائفٌ رَبّ البريّـــة لـــيسَ مِثْلـــكَ جـــارُ

فقد رسم لنا الشاعر صورة حسية سمعية رائعة عند مناجاته لربه وهو في السجن وراء أبوابه المغلقة. اما (الخطيم) فبرع في رسم صورة سمعية عبر فيها عن مشاعره فقال لسليمان بن عبد الملك وقد استجار به (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٦٤/١): (من الطويل)

أعُوذُ برَبي أن أرى الشام بَعْدَها وعَمانَ ما غَنى الحَمَام وغَردى

فجعل للفراق طيراً وهو (الحمام) رمزاً للبعد عن الشام وعمان، وهو صورة سمعية مباشرة أضفى عليها صوت الحمام لتنبىء بالبعد الطويل وبالهجر المؤلم .

اما (العديل بن الفرخ العجلي) فيقدم لنا صورة سمعية مباشرة'إذ يقول (القيسي، ١٩٨٥، الصفحات ٣٢٠/١-٣٢١): (من الطويل)

وقد قيل حتى ما ابالي حَديثَه أقاوُيل مينت باطل وظنونُ
أقاويلُ أقوامٍ وقالتُ نسوةٍ يَقُلْنَ ولما يأتهنّ يقينُ
فإنّ الذي حُدثتِ رقي حديثه عَدوٌ لحبلِ المسلمين لعينُ

فقد كثر من استعمال الأفعال الدالة على السمع وهي (قال)، و (حدث) 'إذ جاء بهذا التكرار لتشكيل صورة حسية قائمة على السمع . ومن الصور الحسية السمعية ما جاء به محمد بن بشير قائلاً (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٧١/١): (من الطويل)

فانّ الذي ألقى إذا قال قائل من الناس : هل احْسَنَتْها لعَنَاءُ
يقول الذي يبدي الشّمات وقوله علي وإشماتَ العَدُوّ سواءُ

فقد كرر في هذين البيتين الأفعال التي تدل على الصورة السمعية وهي (قال وقائل، ويقول، وقول) لتشكيل صورة حسية قائمة على السمع . وفي أبيات أخرى نجده يقول (القيسي، ١٩٨٥، الصفحات ١٧٣/١-١٧٤): (من البسيط)

وأبلغا أمّ سعد أنّ عانيها أعيا على شفعاءِ الناس فاجتنبا
لمّا رأيت نجيّ القوم قلت لهم هل يَعدُوَنّ نجيّ القوم ما كتبا
وقلتُ إني متى أجذب شفاعتكم أندم، وإنّ أشقّ الغيّ ما اجتُلِبا
وإن مثلي متى يسَمعْ مقالتكم ويعرف العين يندم قبل أن يجبا

فقد استعمل الأفعال (أبلغ، وقلت، ويسمع) استعمالا حسيا مباشرا لتشكيل صورة حسية قائمة على السمع .

ومن الصور الحسية عنده ايضا ما قاله في مقطوعته التي تحدث فيها عن امرأة جميلة كان يسايرها ويحادثها في اثناء ادائهم الحج ثم خطبها وأبت ذلك؛ لأنه ليس لها بعشير فاستمر في محادثتها حتى فرق بينهما نزوعهما الى أوطانهم فقال في ذلك: (القيسي، ١٩٨٥، الصفحات ١٧٦/١-١٧٧): (من البسيط)

أستغفر الله ربي من مخدرَّةٍ يوماً بدا لي منها الكشحُ والكتدُ
من رُفقةٍ صاحبونا في ندائِهمُ كلٌ حرامٍ فما ذُمُّوا ولا حُمِدوا
حتى اذا البُدْن كانت في مناحرها يعلو المناسمَ منها مُزبدٌ جَسدُ

أما الاغلب العجلي فيرسم لنا صورة حسية سمعية من أراجيزه الجميلة يقول: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٥٦/٤) :

قال لها في بعض ما يُسَطّرُهْ

وهي تنادي تَحْتَهُ وتَذْمرهْ

وهو شديدٌ لفظُهُ وذكره

مَنْ يشتري سيفي هذا و أَثرُه

فاستعمل في ارجوزته مفردات دالة على صورة سمعية وهي (قال،و نادى، ولفظ، وذكر) استعمالا حسياً مباشراً لتشكيل صورة حسية قائمة على السمع .

ويقدم المقنع الكندي صوراً سمعية حسية مباشرة جميلة في قصيدته التي مدح فيها الوليد بن يزيد ،إذ يقول في أبيات متلاحقة (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢١٣/٤): (من الكامل)

مُسْتَعجِمٌ وهو في الفصيحُ بِكُلّ ما نطق اللسانُ به على استعجامُهُ

وله تراجِمةٌ بألسنةٍ لهمْ تبيانُ ما يَتلُونَ من تَرْجامِه

ما خطَّ من شيء به كتّابه ما إن يبوحُ به على استكمامه

اما الأشهب بن رميلة فيقدم لنا صورة سمعية منفردة وهو يتحدث الى الظعينة عندما تحادثه عن الشيب والشباب يقول فيها: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٢٩/٤) :

تشاورني فيما ارادت شَبابها وتعرِف جَهلي حين أجهلُ شيبُها

ومن الصور السمعية التي برز فيها الرثاء ما قاله الابيرد بن المعذر الرياحي في رثاء أخيه بريد،إذ قال (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٦٢/٤) :

حلفت بربّ الرافعين أكفَّهم وربّ الهدايا حيثُ حَلَّ بها النحرُ

ومُجْتَمَعَ الحُجاج حيث تَواقفتْ رِفاقٌ من الآفاق تكبيرها جأرُ

يمينُ أمري آل وليسَ بكاذبٍ وما في يمين بثَّها صادقٌ وِزرُ

فقد ذكر في هذه الأبيات أربع ألفاظ تفيد السماع وهي (حلفت، وتكبيرها، وجأر، وبثها) لتشكيل صورة حسية قائمة على السمع .

ثالثاً : الصورة اللمسية

وهي الصورة التي تعتمد حاسة اللمس، إذ إنها تعتمد الاحتكاك المباشر بالأشياء التي يكون ملمسها مختلفًا مثل أن يكون (خشنا أو لينا أو ناعما أو صلبا أو باردا أو ساخنا)، والصورة اللمسية لا تقل أهمية عن الصورة البصرية او السمعية، إذ لا يمكن الاستغناء عنها في رسم الصورة الحسية ؛لذلك فقد استعان بها الشعراء في تشكيل صورهم .

كما أن الحاسة اللمسية هي الحاسة المساندة لحاسة البصر، ولكي يبرز جمال الصورة عند التعبير لا بد من تحسس الأشياء بأيدينا لمعرفة الحقائق التي لا نصل اليها بالنظر، ويكون ذلك سهلاً بالنسبة الى الأشياء القريبة منا، أما الأشياء البعيدة التي لا يمكن لنا لمسها

مثل الأفق، والسماء، والشمس وغيرها، وكذلك الأشياء الصغيرة جداً يصعب لمسها والكبيرة جداً (أبو رمان، ٢٠١٦، صفحة ١٧١) ومن النماذج الدالة على هذه الصورة عند الشعراء الامويين قول الأغلب العجلي في أرجوزته التي يفخر بها بقومه قال :(القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٥٧/٤) :

نحنُ جَلَبنا الخيل مِنْ غَوَّارِ
شوازبا يَقْذِفْنَ بالأمهارِ
تَرْدي بنا طوامِحَ الأبْصَارِ
يحملْنَ تَحْتَ الرَّهَجِ المُثارِ

فالقرائن الدالة على الملامسة تكمن في (جلبنا،و يقذفنه، ويحملنه) والشاعر استعمل هذه الألفاظ للدلالة على الفخر بقومه وقوتهم ومآثرهم .

ولنستمع الى قول المقنع الكندي، إذ قال :(القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٠٧/٤): (من الكامل)

أُبْـــلُ الرجـــالَ أردتَ إخـــاءَهُمْ وتَوَسَّـــمَنَّ فَغَـــالَهُمْ وتَفَقَّـــدِ
فـــإذا ظَفَـــرْتَ بـــذي اللَّبابـــةِ والتُّقَـــى فيـــه اليَـــدَين قريـــرَ عَـــينٍ فأشْـــدُدِ
واذا رأيـــتَ ولا مَحَالـــةَ زَلَّـــة فَعَلَـــى أخِيـــكَ بِفَضْـــلِ حلْمِـــكِ فـــأرْدُدِ
ودع التـــذلُّلَ و التَخَشـــعَ تبتغـــي قـــربَ الـــذي إنْ تـــدنُ منـــه يبعـــد

فقد جمع الكندي في هذه الأبيات بين حاستين وهي حاسة اللمس وحاسة البصر، إذ يرسم لنا الشاعر مشهداً عن الأخ والإخاء، فالأخوة هم من أعظم نعم الله علينا، والشاعر يبين لنا كيف يشدد الرجال أزرهم بأخوتهم متغاضين في ذلك عن الزلات والهفوات بينهم، فرسم لنا صورة مركبة جميلة مستعيناً بالتصوير الحسي الذي أكسب اللوحة الشعرية صورة حركية مؤثرة .

واذا انتقلنا الى الرياحي نجده يرسم لنا صورة حسية لمسية مباشرة عندما قدم الرياحي على حارثة بن بدر فقال : أكسني بردين أدخل بهما على الأمير – عبيد الله بن زياد – وكساه ثوبين فلم يرضهما فقال فيه (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٦٦/٤) :

أحارثُ أمسك فضلَ بُرديك إنَّما أجاع وأعرى الله من كنت كاسيا

وفي صورة حسية أخرى نجد الرياحي عندما كان يهوى امرأة من قومه ويجن بها فحجبت عنه وخطبها فأبوا أن يزوجوها إياه، ثم خطبها رجل من ولد حاجب بن زرارة فزوجته فقال الأبيرد يصفها (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٧٥/٤) :

لها بشرٌ لو يدرُجُ الذرّ فوقه لبانَ مكان الذُّر فيه فأثَّرا

فقد تفنن الأبيرد في تصوير رقة جلد محبوبته ونعومته ونظرة شبابها حتى نراها تتأثر بدبيب صغار النمل حتى نرى أثر النمل على جلدها؛ لرقته ونعومته، وهذه من الصور الحسية اللمسية المباشرة التي وظفها الشاعر في قصيدته لتشكيل صورة حسية قائمة على اللمس .

أما عبدالله بن الحجاج فيصور لنا صورة حسية مباشرة عبر قوله (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٩٨/٤) :

وأنَّى ترجَّى الوصلَ منها وقد نأتْ وتبخلُ بالموجودِ وهي قريبُ
فما فوق وجدي إذْ نأتْ وجد واجدٍ من الناسِ لو كانت بذاك تثيبُ
برهرهةٌ خَودٌ كأنَّ ثيابَها على الشمس تبدو تارةً وتغيبُ

عني الشاعر بوصف محبوبته بصورة حسية لمسية نحس بها من خلال ألفاظه، إذ يصور لنا محبوبته التي امتنعت الوصل، ثم يصف جمالها ورقتها فهي امرأة شابة ذات بشرة ناعمة رقيقة بيضاء فإذا ما أرتدت ثيابها وخرجت في الشمس ظهر لنا جسمها الناعم فهذه صورة يصور بها الحجاج رقة جسم محبوبته ونعومته، فهي بذلك ملكت عقله وقلبه وأسكرته من جمالها الأخاذ .

ويقول في أبيات أخرى يمدح بها (عبدالملك بن مروان) مقدما صورة حسية من صور اللمس قائلا: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٣٠٢/٤) :

أعوذُ بثوبَيك اللذين ارتداهما كريمُ الثَّنى من جيبه المسك ينفحُ

وينقل لنا أبو جلدة اليشكري صورة حسية مباشرة عندما مر أبو جلدة بقصر من قصور (بُست) ينزله رجل من الدهاقين فرأى ابنته من أعلى القصر فأنشد يقول: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٣٣٥/٤): (من الخفيف)

إنَّ في القصر ذي الخِبا بدرَ تَمٍّ حسنَ الدَّلِ للفؤاد مصيبا
وَلعاً بالخلوقِ يأرَجُ منه ريحُ رَنْدٍ إذا استقلَّ منيبا
يلبُس الخَزَّ والمطارفَ والقزَّ وعَصَباً من اليماني قشيبا
ورأيتُ الحبيبَ يُبرز كفَّاً ما رآه المحبُّ إلا خَضيبا

جمع الشاعر في هذه المقطوعة بين ثلاث صور حسية مركبة بدأت بالصورة الحسية البصرية (إن في القصر ذي الخبا ...)، ثم الشمية (ريح رند)، ثم اللمسية (يلبس الخز...) و(عصباً من اليماني ...)، ثم ختمها بالصورة البصرية (ورأيت الحبيب ...) و (ما رآه ...)، فلم يترك أبو جلدة شيئاً لم يصفه في ابنة هذا الرجل، إلا وكان له في معجمه نصيب، من الوجه الجميل ،إذ شبه وجهها بالقمر ليلة تمامه واستدارته لحسن دلالها وغنجها و رائحتها الفواحة؛ لكثرة تطيبها بالعنبر الذي يفوح بهذه الرائحة الزكية كلما تحركت، ويصف ما كانت

ترتديه هذه الفتاة من الحرير الطبيعي الخالص والثياب التي كانت من الخز والحرير واليمانية، وهذه كلها صور تعبر عن مدى اعجابه بهذه الفتاة موظفاً الصور الحسية البصرية والشمية واللمسية .

وفي صورة أخرى يقول عندما خرج في يوم الزاوية حين خرج بين الصفين (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٣٣٧/٤) (من الطويل)

فقل للحَواريَّات يبكينَ غيرنا ولا تبكنا إلاَّ الكِلَاب النوابحُ
بكينَ إلينا خَشيةً أنْ تُبيحَها رماحُ النصارى والسيوفُ الجوارحُ
بكين لكي ما يمنعوهُنَّ منهمُ وتأبى قُلُوبٌ أضمرَتها الجوانحُ
وناديننا : أين الفرارُ وكُنتمُ تغارون أن تبدو البُرى والوشائح

نجد في الأبيات السابقة صورتين حسيتين الاولى منها سمعية والثانية لمسية، فالسمعية جاءت في مخاطبة الحواريات و بعدم بكائهن، إذ كرر الصورة السمعية في أربعة أبيات، واما الصورة اللمسية فنراها في ارتداء النساء الخلخال والوشاح وهما يلامسان أجسادهن .

رابعاً : الصورة الذوقية

من الحواس التي يعتمدها الشاعر هي حاسة الذوق، إذ تعد إحدى الحواس المهمة في تشكيل الصورة الشعرية التي تدرك عن طريق الذوق، أي من خلالها يمكن للإنسان أن يميز بين الأشياء على مستوى الطعم فمنها (الحلو والحامض ومن ثم المر) ومن ثم يشعر المتلقي بما يريد إيصاله الشاعر من خلال هذه الصورةإن مثل هذه الصورة الذوقية الذهنية تكثر عند الشعراء الأمويين ومنها نذكر قولاً للسمهري العكلي عندما كان طريدا فقال: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٩/١): (من الطويل)

وقُلْتُ لـه إذا حَلَّ يسقي ويَستقي وقَدْ كانَ ضوءُ الصبح لليل حاديا
لَعمري لقد لاقَت ركابُك مشرباً لَئن هي لم تُصْبِحْ عَلَيهنَّ عالِيا

فقد اعتمد الشاعر العكلي في هذه اللوحة الفنية ثلاث حواس وهي :السمع والبصر والذوق، فالصورة السمعية تكمن في قوله (وقلت له) ،و الصورة الذوقية تكمن في لفظة (يسقي ويستقي) ،والصورة البصرية (ضوء الصبح) وختمها بالذوقية (لاقت ركابك مشربا) لتشكيل صورة حسية .

ومثل هذه الصورة المركبة نذكر قولا لجحدر بن معاوية المحرزي، إذ قال في إبراهيم بن عربي والي اليمامة (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٧٥/١): (من البسيط)

إني أرّقتُ لِبرقٍ ضَافْي سار كأنّ في العين منهُ مَسَّ عوَّار
أو حرَّ فُلفُلَةٍ كانت بها قذيتْ لما بَرَى قِشْرَها عن حرّها الباري

مزج جحدر في هذه الأبيات بين صورتين حسيتين وهي :البصر والذوق، فرسم لنا في البيت الأول صورة بصرية فهو هنا شبه نفسه عندما زاره ضيف في الليل وهو البرق الذي حل به ضيفاً ليلاً، إذ جعل هذا البرق عينه مريضة وكأن القذى في داخلها أي: (كأن به مس عوار) ثم ذكر الصورة الذوقية (أو حر فلفلةٍ كانت بها قذيت) أي أصابها القذى من الفلفلة .

أما عبدالله بن الحجاج فيقول وهو في الحبس مقدماً صورة حسية واصفاً فيها الخمر قائلاً :(القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٩٧/٤): (من الطويل)

فظلـــتُ كـــأني ســـاورتني مُدامـــةٌ تمنَّـــى بهـــا شـــكسُ الطّبـــاع أديـــبُ
تَمـــرٌ وتســـتحلي علـــى ذاك شَـــربُها لوجـــه أخيهـــا فـــي الإنـــاءِ قُطـــوبُ
كُميـــتٌ إذا صُـــبَّتْ وفـــي الكـــأس وردةٌ لهـــا فـــي عظـــام الشـــاربين دبيـــبُ

ففي هذا التشكيل الشعري ركز الشاعر على الخمرة ووصفها، وكيف أخذت برأسه والتي يتمنى شربها شكس الطباع حتى تؤدبه، فقد مزج بين صورتين حسيتين الاولى منها الصورة الذوقية (تمر وتستحلي على ذاك شربها) بما يتم فيها من تذوق طعم الخمرة وحلاوتها وكيف تغير مزاج شاربها وتؤثر في عقله، والثانية الصورة البصرية اللونية (كميت اذا صبت...) وهو لون الخمرة ما بين الأسود والأحمر، فاختلط المذاق باللون في رسم صورة حسية مباشرة.

وفي صورة أخرى يصف هذه الخمرة قائلاً: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٣٠٣/٤) :

كأنَّ مُعتَّقاً من أذرِعاتٍ بماءِ سحابةٍ خَصِرٍ فضيضِ

فالشاعر يصف الخمرة في صورة تشبيهية في جملة (كأن معتقاً من أذرعات) فشبهها بالمياه الباردة النازلة من السحاب وهي صورة تذوقية حسية .

أما أبو جلدة اليشكري فقدم صورة ذوقية أخرى ذاكرا فيها الخمرة يهجو جاره يقال له سيف من بني سعد، وكان يشرب الخمر، ويعربد على أبي جلدة فقال يهجوه: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٣٤٧/٤): (من الطويل)

أصـابَ الزَّنـا والخمـرُ حتـى لقـد نَمَـتْ لـــه سُـــرَّةٌ تُســـقَى الشـــرابَ المُشَعشَـــعا
فلـولا هـوانُ الخمـر مـا ذُقـتَ طعمَهـا ولا سُـــقْتَ إبريقـــاً بكفّـــك مُترعـــا
كمـــا لـــم يَـــذُقها أن تكـــون عزيـــزةً أبـــوك ولـــم يُعـــرَض عليهـــا فيطمعـــا

فقد اكتفى أبو جلدة في هذه المقطوعة بالأمور العامة من دلالات الألفاظ المعبرة عن الذوق ألا وهي (تسقى الشراب)، و (سقت ابريقاً) ،و (كما لم يذقها) فلا توجد عنده صورة مبتكرة يتفرد بها عن غيره من الشعراء .

خامساً : الصورة الشمية

هي الصورة التي تعتمد في بنائها الأسلوبي حاسة الشم، كما أن حاسة الشم تعد عنصراً من عناصر تشكيل الصورة، إذ يستعمل الشاعر الفاظًا تدل عليها مثل (شممت، استنشقت، ...) أو الفاظًا تدل على إثارة حاسة الشم، كذكر الروائح و العطور، فهي "تعتمد على ما يمكن استقباله بحاسة الشم، ومجالها الروائح وما يدل عليها من كلمات الطيب والأريج والعنبر والمسك والعطور وما شابه ذلك، حيث تبنى الصورة على ما يمكن شمه " (خضر، ٢٠٠٤، صفحة ١٩٧).

ومن نماذج الصورة الحسية الشمية عند الشعراء الأمويين نستعرض أقوالهم فيها ومنها قول السمهر العكلي: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٦/١): (من الطويل)

وبيضاء مكسالٍ لعوب خريدةٍ لذيذٌ لدى الليل التمام شِمامُها

فقد مزج الشاعر بين صورتين حسيتين ففي صدر البيت في جملة (وبيضاء مكسالٍ) هي صورة لونية بصرية، ثم ذكر الصورة الشمية صراحةً في عجز البيت في لفظة (شمامها).

وأما طريح بن إسماعيل الثقفي فقدم لنا صورة شمية ذهنية بارعة وهي مما يحس به كل انسان في كل زمان ومكان، فهو يقول (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٣١٠/٣): (من البسيط)

شتان بينهما لو دامغت حيل مكروه ذاك ولكن تغلب الحيل

هذا له عندنا نور و رائحة تلقى الوجوه كريا عارض هطل

فهو يتألم كثيراً لما حل به بعد أن ذهبت الشيخوخة بجماله وشبابه وحيويته ؛ ولكونه لا يستطيع ارجاع شبابه فله نورٌ ورائحةٌ ووجه سمح يلقى به الوجوه فقد امتزجت حاسة الشم في صدر البيت في قوله (نور ورائحة) مع حاسة البصر في عجز البيت في قوله (تلقى الوجوه) لتشكيل صورة حسية قائمة على حاستي الشم والبصر .

في حين ينقل لنا الأغلب العجلي صورة شمية مباشرة في قوله:(القيسي، ١٩٨٥، صفحة ١٤٨/٤):

قّباءُ ذات سُرَّةٍ مقعَّبَهْ

كأنَّها حُقّةُ مِسْكٍ مُذهبهْ

ممكورةُ الأعلى رِداحُ الحجَبهْ

فالشاعر أراد في هذه الأبيات وصف جارية من بني قيس، فشبهها بقارورة من المسك لطيب رائحتها ،إذ استدل الشاعر بهذه الرائحة الزكية وهي (المسك) لتشكيل صورة حسية قائمة على الشم .

اما عن الأشهب بن رميلة الذي تفنن في تقديم صورة حسية شمية وهو يتغزل غزلاً عفيفًا في قوله: (القيسي، ١٩٨٥، صفحة ٢٢٩/٤):

لله دَرّي أي نظـــــــرةِ ذي هـــــــوى نظـــرتُ ودونـــي لينـــةٌ وكثيبُهـــا
إلـــى ظُعُـــنٍ قـــد يَمَّمَـــتْ نحـــو حائـــلٍ وقـــد عَـــزَّ أرواحَ المصـــيف جنوبُهـــا
مـن الناضـحاتِ المسـكَ فـي كـل ملعـب كنضْـــح النـــدى أردانُهـــا وجُيُوبُهـــا

فقد سخر الشاعر التشبيه الحاصل في البيت ليوصل الصورة الحسية الشمية التي أرادها و هي (رائحة المسك) الطيب التي تفوح من أردان حبيبته وجيبها .

الخاتمة:

فـي خاتمـة هـذا البحـث يمكننـا إجمـال نتـائج عـدة كانـت مـن الأهميـة بمكـان ضـمن تفصيلات فقراته. هذه النتائج جاءت بوصفها محصلة لهذا العمل وثمرة من ثماره التي نأمل أنها أتت أكلها، ومن هذه النتائج:

- على صعيد الصور الشعرية الحسية والمعنوية تجلى الإبداع الفني في نصوص كتاب و شعراء أمويين ،وانصهر نتاجهم الحسي بالجانب النفسي فأنتجوا قصائد ذات طابع معنوي يحاكي واقعا معاشا في حياتهم، وعملوا على مزاوجة نتاجهم ما بين العناصر الحسية والمعنوية على السواء.
- على صعيد المدركات الحسية التي تقوم بإنتاج السمات الفنية للنص الشعري، فقد أدرك الشعراء الأمويون بفطنتهم الشعرية أهمية السياق في عملية بناء النص الشعري فساوقوا بين سياقات النص الداخلي والخارجي، وأعطوا أهمية بالغة لواقعهم الاجتماعي وغيره، الأمر الذي أدى إلى إيصال المعنى للقارئ بصورة تبتعد عن الغموض .
- تمكن الشعراء الأمويون من اختزال الأدوات المنتجة للمعنى الشعري، فصرنا نعثر على مشاهد الصورة الحسية في البيت الشعري الواحد وفي البيتين شريطة توافر المعاني في البيت الواحد ‘إذ ينتج كل معنى من هذه المعاني صورة مستقلة بذاتها وبجمع شمل تلك الصور يكتمل النص كاملاً من حيث البناء الشعري الموصل للمعنى المراد.
- أنتج الشعراء الأمويون مشاهد ولوحات متكاملة المعاني من خلال العناصر الحسية التي تتصف بالنمو والامتداد والتتابع، فيضع الشاعر الأموي اللفظ المناسب في مكانه المناسب من خارطة النص ثم يوالي عملية البناء الشعري.
- تمكن الشعراء الأمويون من إنتاج صور حسية مؤثرة قامت في أصلها على دعائم الفنون البلاغية بكل أشكالها، إذ إنَّهم تمكنوا عن طريق هذه الصور من ترجمة أفكارهم وتجاربهم وأحاسيسهم إلى مشاهد فنية من شأنها التأثير في القارئ وتعطيه الفرصة الواسعة ؛لأجل

معايشة أحداث الشاعر بكل تفاصيله الحياتية، الأمر الذي جعل هذه الصور قائمة بأحاسيسها الى يومنا هذا .

المصادر:

القرآن الكريم .

١. أحلام زكري. (٢٠١٦). الصورة الحسية في شعر عيسى لحيلح. بسكرة، الجزائر: رسالة ماجستير/ جامعة محمد خيضر.

٢. د. نوزاد شكر، و عبد الله ابراهيم فقي. (١ كانون الأول، ٢٠١٨). الصورة الشعرية الحسية والذهنية في شعر حكيم نديم الداوودي. مجلة الأستاذ(العدد ٢٧٧).

٣. رياض عبد الله سعد. (العدد الثالث المجلد العاشر، ٢٠١٧). المنظور النفسي للتكرار في الصورة الشعرية الحسية حتى نهاية العصر الاموي. مجلة اوروك.

٤. ساسين سيمون. (١٩٨٢). الصورة الشعرية ونماذجها في ابداع أبي نواس. جبيل: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

٥. صاحب خليل ابراهيم. (٢٠٠٠). الصورة السمعية في الشعر العربي قبل الإسلام. دمشق، سوريا: اتحاد الكتاب العربي.

٦. عز الدين اسماعيل. (د. ت). الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية (المجلد ٣). بيروت، لبنان: دار الفكر العربي.

٧. غادة خلدون أبو رمان. (٢٠١٦). تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي بشار بن برد إنموذجاً. جامعة جرش/ كلية الآداب– قسم اللغة العربية.

٨. فوزي خضر. (٢٠٠٤). عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون. الكويت.

٩. كامل حسن البصير. (١٩٨٧). بناء الصورة الفنية في البيان العربي. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

١٠. نوري حمودي القيسي. (١٩٨٥). شعراء أمويون (المجلد ١). بيروت، لبنان: عالم الكتب.

١١. يوسف مراد. (١٩٤٨). مبادئ علم النفس العام (المجلد ١). القاهرة، مصر: دار المعارف.